

أحلام اليقظة..

المحمود منها والمذموم

شهاب الدين الحسيني

ربما يهرب الإنسان، صغيراً كان أو كبيراً من تعقيدات الواقع ومشاكله، إلى عالم متخيل يصنعه بأحلام اليقظة، وتزداد تلك الأحلام أو تقل، تبعاً لمقدرة الشخص على مواجهة الحياة بها فيها من صعوبات ومشقات. وأحلام اليقظة لها إيجابياتها وسلبياتها، وهي في جميع الأحوال ظاهرة محكمة لا يستطيع الإنسان التخلص منها بسهولة، فهي فوق طاقته.. إلا أن فليها نافع وكثيرها ضار، ولها مرادفات كالأمانى وكالأمل الذي يقول عنه أمير المؤمنين الإمام على (ع) إنه رفيق مونس.

وأحلام اليقظة تدفع الإنسان والطفل السوي إلى العمل من أجل تحقيق رغباته في الواقع، أو التعويض عن رغبة برغبة أخرى، فالذي يحلم بالحصول على المرتبة الأولى في الامتحان، يمكنه الوصول إلى حلمه وتحقيقه في الواقع عن طريق المثابرة وبذل الجهد في القراءة والمطالعة، أو يحقق أمراً آخر إن لم يستطع، كالتفوق في الرياضة أو التمثيل أو حفظ القرآن أو الإبداع في مهنة وفن من الفنون، وقد وصل البعض منهم إلى ما يحلمون به في الواقع: "وإن من بين هؤلاء مئات المخترعين العظام، كما أن فيهم شخصيات لعبت أدواراً مهمة في التاريخ مثل نابليون وروزفلت..".

الطفل وأحلام اليقظة

حينما يخفق الطفل في تحقيق رغباته في الواقع، فإنه يلجأ إلى الهروب من عالم الواقع، ويتحصن بأحلام اليقظة، حيث يتخيل نفسه كما يريد وكما يرغب، فالضعيف يتخيل نفسه أقوى الأقوياء، والفقير يتخيل نفسه أغنى الأغنياء، والفاشل يتخيل نفسه قد حاز النجاح في جميع الميادين، فيعوض عما فاتته في عالم الأحلام، ليحصل على الهناء والاستقرار النفسي والسرور، وينسى معاناته ما دام في عالم الخيال والأحلام، ويبقى ما يحصل عليه في دائرة الخيال. ثم يعود إلى عالم الواقع، فيجد نفسه حبيساً في همومه ومعاناته من جديد.

وأحلام اليقظة لها إيجابياتها وسلبياتها، وهي في جميع الأحوال ظاهرة محكمة لا يستطيع الإنسان التخلص منها، فهي ظاهرة فوق طاقته وقد تكون فطرية، غاية الأمر أن قليلها نافع وكثيرها ضار. لكن، لا بد من القول، إن الطفل أقل الناس استسلاماً لأحلام اليقظة، لأن كثرة اللعب تمنعه من الإكثار منها، باستثناء الطفل المعوق، فهو أكثر الأطفال هروباً من الواقع.

المحمود منها والمذموم

فأحلام اليقظة تكون إيجابية، ، إذا اتبعها العمل لتحقيقها في الخارج، وكانت أحلام واعية سليمة تتناسب مع القدرة والإمكانات والظروف. ولأحلام اليقظة جانب سلبي إن تجاوزت حدودها، وأدت إلى إضاعة الوقت. وإذا استسلم لها الإنسان، فإنه سيضيع وقته لأنها لا تنتهي عند حدّ، قال الإمام علي (ع): "الآمال لا تنتهي". والمذموم منها هو الاعتقاد على الهروب من واقع الحياة إلى عالم الخيال والأحلام، وتصبح أكثر وطأة عندما تكون صعبة التحقيق، لعدم توفر شروط التحقيق عند الحالم، أو في الواقع الموضوعي، قال الإمام علي (ع): "رغبتك في المستحيل جهل". والاستسلام لأحلام اليقظة من صفات ضعيفي العقل والإدراك، كما قال الإمام علي (ع): "الأماني شيمة الحمقى"، "الآمال غرور الحمقى"، "الأماني بضائع النوكى (الحمقى)". وغالباً ما يعود الحالم إلى عالم الواقع والحقيقة ليجد نفسه أقل قدرة على مواجهة الظروف التي يعيشها، وتبقى أحلامه سراباً، قال الإمام علي (ع): "الأمل كالسراب، يغرر من رآه، ويخلف من رجاه".

وقال (ع): "الأماني تخذعك، وعند الحقائق تدعك". وأحلام اليقظة المذمومة هي الأحلام التي لا يصحبها العمل والجهد، قال الإمام علي (ع): "إن الله ليبغض الطويل الأمل، السيئ العمل"، "شر الناس الطويل الأمل، السيئ العمل".

والاستسلام لأحلام اليقظة دون بذل الجهد لتحقيقها في الخارج، يجعل الطفل كسولاً مترخياً ضعيفاً، وقد ترافقه إلى الكبر، فتمنعه من التكيف الحقيقي مع المحيط الاجتماعي لانشغاله بأمور غير ممكنة التحقيق، ومن أثارها الخطيرة على الإنسان إن "مستشفيات الأمراض العقلية غاصة بالآلاف ممن لم يحققوا أحلامهم، وممن هربوا من الواقع وأضاعوا الاتصال به".

وقد وجدنا في الواقع بعض الأشخاص ممن أصيبوا بالجنون الجزئي جراء استسلامهم لأحلام اليقظة والاماني الكاذبة، فأحدهم وجدناه عاقلاً في أقواله وممارسلته إلا في جانب واحد، فإنه يتحدث عن تجارة وهمية بملايين الدولارات، ويسطر أسماء الشركات التي يتعاقد معها، ويدّعي أنه قد تبرّع للمؤسسة الخيرية الفلانية بعشرة ملايين، وإن فلاناً مدين له بخمسين مليوناً، وهكذا، إلا أنه كان عاقلاً في جميع أقواله وممارسلته التي لا تتعلق بالأموال. ووجدنا شخصاً آخر كالسابق يمتلك جميع مقومات النضوج العقلي والفكري، إلا أنه في المجال السياسي يدعي أنه كان ملكاً على أحد الدول ثم أزيح عن

منصبه بانقلاب عسكري، وحينما يتحدث تجده على اطلاع تام على الأحداث والمواقف السياسية.

ومن خلال تتبع مسيرة حياتهما رأينا أنهما استغرقا في أحلام اليقظة منذ الطفولة. فأحلام اليقظة خطيرة جداً إذا أصبحت هي الظاهرة السائدة في حياة الأطفال، ويجب على الوالدين أو المربين دراسة الأسباب التي تؤدي إلى أحلام اليقظة ومعالجتها لإعادة الطفل إلى عالم الواقع واستثارة اهتمامه بالحياة الحقيقية، وفي حالة عدم إمكان ذلك، يجب على الوالدين تحويل الأحلام إلى ميدان آخر، يربط الطفل بعالم الآخرة، وتوجيه أنظاره إلى متع وملذات الجنة، لتكون أحلامه إيجابية، من أجل أن لا يشعر بالحرمان أو يتخذ منها حافزاً لإنجازات واقعية، ومن الأفضل إشغال تفكيره عن طريق اللعب، والقيام برحلات ترفيهية تقلل من أحلامه، واكتشاف مواهبه وتنميتها.

